

# الفصل الثالث

## المحاكم والقضاء

ومنشئوهم في الدولة العثمانية وعهد الفاتح

كان لا بد من أن نلمّ بالقضاء ونبين أهميته في الاسلام والمراحل التي مرت به لكي نفهم محاكم الدولة العثمانية وتشكيلاتها فانها كانت دولة اسلامية سارت في شئونها كلها على المنهج الاسلامي وتأسست محاكمها على الاسس الاسلامية سواء من ناحية التشريع او التشكيلات كما هو الشأن في سائر الدول الاسلامية مثل الامويين والعباسيين وأحسبني قدمت فكرة ، ولو اجمالية ، في هذا الصدد بما أسلفته من البيان .

كانت نظرة المسلمين الى شريعتهم نظرة إجلال وتقديس وفكرتهم عن أحكامها المدونة في الفقه فكرة امتزجت بالعقيدة الدينية ورسخت في قلوبهم واستولت على ضمائرهم ومشاعرهم . وأما شريعتهم التي نظروا اليها هذه النظرة واعتقدوا فيها هذه العقيدة فكانت من سعة الدائرة وشمول أحكامها المستندة الى الحق والعدل بحيث تجيب جميع مطالب الحياة الاجتماعية وتحل كل المشاكل التي تحدث في المجتمع وتصلح لكل زمان ومكان ولا تدع حاجة الى البحث خارج دائرتها الواسعة عن شيء آخر يحقق العدل والحق .

وبهذا الشعور والايان كان الجميع حتى الخلفاء والملوك يقابلون أحكام المحاكم بالسمع والطاعة والترحيب وعن طيب خاطر . وكان الكل : الغني والفقير ، القوي والضعيف يحدون أمامها المساواة التامة .

ويتمثل شعورهم هذا في مثلهم القائل : « لا تتألم الاصبغ التي تقطعها الشريعة » .

وبمثل هذه الروح ، وفي جو من هذه الثقة إبتدأ السلطان عثمان الغازي باني الدولة العثمانية عمله بتعيين قاض قبل كل شيء وجعل سلطة الدولة القضائية تعمل وتلشط وكان اول قاض ولاء هو الفقيه طورسون<sup>(١)</sup> .

وكان لابد من أن تكون هذه السلطة في أيدي نزيهة ذات كفاءة حتى يمكن اجراء القضاء في الحدود التي رسمتها الشريعة الاسلامية وتحقق العدالة اذ ليس من الممكن الوصول الى الخاية المنشودة باناس لا يدركون أهمية القضاء في المجتمع ولا يفقهون روحه ، ومن أجل ذلك كانت هذه النقطة قد استأثرت بأكبر قسط من العناية والاهتمام .

وفي بداية قيام الدولة كان القضاة العثمانيون يختارون من العلماء القادرين على الاضطلاع بأعباء القضاء من نشأوا في البلاد الاسلامية مثل الاناضول ومصر وسوريا وايران . هذا من جهة ومن جهة اخرى كان يفتح المدارس في المدن الكبيرة مثل إزنيق<sup>(١)</sup> وبروسه لتخرج العلماء والقضاة ، وبعد فتح

---

(١) هو من بلدة «قرمان» بالأناضول وصهر العالم الكبير والصوفي الشهير الشيخ إدبالي حمى السلطان عثمان . تلقى مبادئ العلوم في المكاتب ثم قرأ على الشيخ إدبالي الحديث والتفسير والاصول والفروع فاستخدمه السلطان عثمان بعد وفاة جميعها في وظيفة التدريس والافتاء وعينه مستشاراً له يستشير في الشئون الدينية وسائر شئون الدولة الهامة . ونصبه قاضياً لقر حصار وأمره أن يخطبه باسمه ،

تاريخ الخلفاء ج ١١ وتاريخ عاشق پاشا زاده

(١) اول مدرسة انشئت في بداية الدولة العثمانية هي مدرسة « إزنيق » أنشأها السلطان اورخان الغازي لتخرج كبار العلماء والقضاة . وبالفعل قد تخرج فيها كثير من النوابغ منهم العالم الكبير خليل الاسود الحنطري .

استأنبول اتسعت البلاد من جميع النواحي فتأسست امبراطورية عظيمة  
فاقتضى هذا الوضع الجديد الدولة مضاعفة العناية بشئون التعليم والقضاء  
فأنشأ السلطان محمد الفاتح مؤسسة علمية كبيرة في عاصمة الدولة الجديدة (١)  
وكان ذلك سنة ٨٧٥ هـ وكان الغرض الذى يرمى اليه السلطان من إنشاء هذه  
المؤسسة تخريج علماء متبحرين فى العلوم كلها خصوصاً فى العلوم الدينية التى  
من أهمها الفقه .

وما كان يختار للتدريس فى هذه المدرسة الا علماء أجلاء واول من تولى التدريس  
فيها هو داود القيصرى ثم تاج الدين السكردرى وبعده علاء الدين الاسود . وكان  
السلطان اورخان يستفتيهم هم ورستم الاسود كلما دعت الحاجة الى الاستفتاء .

(١) يحدثنا التاريخ ان السلطان محمد الفاتح كان يطوف بالمدارس فى وقت متأخر  
من الليل ويتفقد الطلاب ليعلم المجتهد منهم وغير المجتهد فيكافى\* المجتهدين . لم يهد  
أن حاكما من الحكام بلغ به حب العلم هذا المبلغ .

ويروى أنه أراد أن يحصل على حجرة فى إحدى المدارس الثمان التى أنشأها فقال  
له ناظر المدرسة : عليك بالامتحان لتحصل عليها كما يقضى به شرط الواقف . فأداه  
بنجاح وحصل على الحجرة ويؤثر عنه انه قال حينئذ : « لتكن لى حجرة على الأقل  
أسكنها إذا خلعتنى يوماً ما من الحكم » وكانت هذه الحجرة - على ما يروى بين  
الأساندة والطلاب رواية تكاد تكون متواترة هى الحجرة الاولى السكينة على  
يسار الداخل من باب المدرسة المعروفة بـ « باش قورشونلى » (= سرويلى) وهى  
إحدى المدارس الاربع السكينة فى جهة البحر الاسود . وسنتكلم على هذه المدارس  
فيما سيأتى .

وكان رحمه الله يستقبل زواره فى هذه الحجرة كلما زار المدارس . وكان له فيها  
مقطة و « چمجه » (\*) مطعمة بالصدف وقد فقد هذا الثرات الثمين فى المدة الأخيرة

(\*) هو صندوق صغير ذو أدراج من غير قوائم يستعمل ككتب .

وقد أدرك محمد الفاتح أن لا سبيل إلى تحقيق هذا الغرض إلا بكبار العلماء والاساتذة فاستقدم من البلاد الاسلامية الاخرى نوابغ العلماء مستعملا معهم جميع أساليب الاغراء والتشجيع وبأذلالهم ضروب العطف والتكريم حتى أنشأ في عاصمة ملكه جامعة علمية كبيرة نموذجية .

وما هي الا فترة قصيرة من الزمن حتى تحقق الغرض فنشأ عدد لا يحصى من العلماء والفقهاء والشعراء ورجال الفن والأدب كما نرى أسماءهم في كتب التاريخ والتراجم . والواقع أنه كانت هناك مكاتب ومدارس قبل الفاتح انشئت في أنحاء البلاد من قبل الافراد والجماعات ولا سيما بطريق الوقف كما كان عدد لا يحصى من المكاتب والمدارس المتخلفة من الدولة السلجوقية والإمارات التي قامت على أطلالها . ولكن هذه المعاهد العلمية على كثرة عددها لم تكن كمدارس محمد الفاتح لا في نظمها ولا في أساتذتها الذين تولوا التدريس فيها .

فإن هذه المدارس بكبار أساتذتها وبرامجها الواسعة النطاق كانت تمثل جامعة علمية لم يكن لها مثيل في أى مكان آخر (١) هذا ؛ وقد انشئت عقب فتح القسطنطينية - وقبل إنشاء مدارس الفاتح - مدرستان «آياصوفيه» و«زيرك» وأول من تولى التدريس بمدرسة «آياصوفيه» هو

---

(١) نعم إن المدرستين اللتين أنشأهما الوزير الشهير نظام الملك في بغداد ونيشابور كانتا أكبر جامعتين في العالم في ذلك العهد وقد تولى التدريس فيهما أساتذة ذوو شهرة عالمية من أمثال أبي اسحاق الشيرازي وأبي النصر الصباح وأبي قاسم الدبوسي وأبي حامد الغزالي وفخر الاسلام الشاشي والامام السهروردي وكمال الأنباري وامام الحرمين . وتخرج على أيديهم كبار العلماء والشعراء والمفكرين أمثال الشيخ سعدى =

المولى خسرو وكانت هذه المدرسة ينبوع علم فياض تفوق المدارس الموجودة في ذلك العهد بفضل مدرسيها ذلك العالم الكبير ومساعديه الأفاضل وقد احتفظت بمركزها العلمي الممتاز سنين عديدة الى أن تمت تشكيلات مدارس الفاتح .

يروى لنا التاريخ ان الفاتح كان يلاحظ من قصره القريب من مدرسة « آياصوفيه » أن احدى حجرها تظل مضاءة طوال الليل فسأل يوما عن الطالب الذى يسكن هذه الحجرة فعرف أنه محي الدين بن مضييسا فكافأه على اجتهاده بأن اختاره فيما بعد مدرسا لمدرسة وزيره محمود (باشا) . وقد تخرج

---

الـشـيرازى وقد تولى هو ايضا وظيفة الامتاز المساعد . وكان يدرس في هاتين المدرستين جميع فروع العلم والمعارف ويرحل اليهما عشاق العلم والمعرفة من كل جانب . ولكن مدارس الفاتح تفوقهما وأمثالهما بما لها من البرامج الواسعة النطاق والنظم الدقيقة في امتحان الطلاب والتلاميذ .

ومدارس الفاتح وان كانت تذكرنا ماضيها المجيد بمبانيها الآيلة للخراب (\*) ولكن النظامية قد أتت عليها يد الزمان الخربة ولم تبق منها أثراً يستدل به عليها وانما بقيت ذكرها في القلوب وسجل اسمها في التاريخ .

وما دمنا بسدد ذكر المعاهد العالمية فجدير بنا أن نذكر الازهر الشريف بالحمد والشكر فانه حفظ التراث الاسلامى عدة قرون ولا يزال يؤدي رسالته العلمية وينشر العلوم الدينية والعربية ويحتضن من يرسل اليه من طلاب العلم من أنحاء البلاد الاسلامية ويثقفهم ثقافة علمية دينية فهو المعهد العلمى الدينى الوحيد الذى بقي في العالم الاسلامى حفظه الله وأدامه إلى يوم الدين .

---

(\*) واعتمدت الحكومة التركية في المدة الأخيرة مبلغا كبيرا لترميم هذه المدارس .

في مدرسة « آياصوفيه » كثير من أفاضل العلماء ذكرت تراجمهم في الشقائق . وكانت مدرسة « زيرك » كمدرسة « آياصوفيه » ذات شهرة كبيرة بكبار أساتذتها وطلابها وكان أول مدرس فيها هو المولى زيرك من كبار علماء عصره أخذ العلوم من العالم الكبير والصوفي الشهير الحاج بيرام دفين آنقره وهو الذي لقبه بزيرك ومعناه الفطن الألعى لما شاهد فيه من أمارات النبوغ وشدة الذكاء . وكان يدرس بمدرسة السلطان مراد خان بمدينة بروسه قبل أن يعين بالمدرسة المارة الذكر .

وقد جرت بينه والمولى خواجه زاده مناظرة علمية استمرت سبعة أيام وانتهت باعتبار أنه فقد القضية فعزله السلطان من وظيفة التدريس وعين مكانه خواجه زاده وقد تأثر المولى زيرك من ذلك فبارح القسطنطينية الى بروسه وأمضى بقية عمره فيها . والظاهر أن السلطان ندم أخيراً على سلوكه معه هذا المسلك فدعاه الى استانبول باذلاً له الوعود ولكنه اعتذر عن عدم قبول الدعوة . وفي رواية أنه أسند اليه منصب الافتاء في بروسه في أواخر أيامه بمرتب يومي قدره مائة آقجة وتوفي وهو يشغل هذا المنصب ودفن في مكان يسمى « بيگار باشي » [ = رأس الينبوع ] بمدينة بروسه .

ومن أراد الحصول على تفصيلات أكثر في هذه المدارس فليراجع كتاب « استانبول او نيورستهسى تاريخنه باشلاننج » [ = التمهيد لتاريخ جامعة استانبول ] مؤلفه الباحث الجليل الأستاذ سهيل أنور .

وبينما كانت هذه المدارس تعمل لأداء رسالتها العلمية فانا نرى مؤسسات أخرى علمية انشئت بداخل القصر السلطاني وعرفت بمدارس « أندرون همايون » (١) تعمل هي أيضاً لتخريج رجال الجند والادارة والصناعة .

---

(١) « أندرون » كلمة فارسية معناها الداخل . وقد عرفت معنى « همايون » =

كانت مدينة بروسه هي المركز العلمي قبل فتح القسطنطينية وقد انتقل هذا العنوان العلمي اليها بعد الفتح .

والواقع أنه كان هناك علماء أعلام قبل إنشاء مدارس الفاتح تخرجوا في دور العلم الكائنة في قرمان وقونية وإزنيق والشام ومصر وسائر المدن الاسلامية من أمثال الشيخ إدبالي و خليل الاسود و جمال الدين الآقسرائي والمولى الفناري والمولى السكوراني والمولى خسرو والمولى خضر بك تدين لهم الامة الاسلامية بالاحترام البالغ لما تركوا من آثار علمية خالدة إلا أنهم كانوا قلة . وبعد انشاء مدارس الفاتح أصبحوا كثرة تستعصى على العد .

### مراحل التعليم :

وفيما يلي نذكر مراحل التعليم والنظم الدراسية المتبعة بمدارس الفاتح :

|            |       |             |
|------------|-------|-------------|
| مرحلة أولى | وتسمى | الخارج      |
| » ثانية    | »     | الداخل      |
| » ثالثة    | »     | موصلة الصحن |
| » رابعة    | »     | الصحن       |

نظام الانحياز بهذه المدارس والانتقال منه مرحلة الى اخرى :

كان على الطالب الذي يريد الانخراط في السلك العلمي أن يواظب أولاً

---

= فيا تقدم ص ٤٨ يسجل لنا التاريخ أسماء ستين صدر أعظم وثلاثة شيوخ الاسلام وثلاثة وعشرين قائداً بحرياً تخرجوا في مدارس « أندرون » ويقاس عليهم غيرهم من الرجال الذين تخرجوا فيها . وكان الاساتذة الذين تولوا التدريس فيها من أمثال المولى سراج الدين والمولى حميد الدين واحمد باشا والمولى مصلح الدين وغيرهم ممن كانوا في مستوى مدرسي الصحن في العلم والفضل .

على حلقة تدريس عالم في احدى المدارس المعروفة بمدارس الخارج ويدرس عليه مبادئ العلوم ثم يلتحق - بتوجيه أستاذه - باحدى مدارس الداخل ويدرس فيها على عالم آخر العلوم العالية المقررة فيها (١) حتى اذا أتم دراسته فيها خول له ذلك حق الالتحاق بمدارس الصحن ولكن لا مباشرة بل بعد أن درس العلوم المقررة في احدى المدارس المعروفة بموصلة الصحن التي كانت بمثابة قسم اعدادى بالنسبة لمدارس الصحن (٢) .

(١) لم نعثر على البرامج التفصيلية وفروع العلم التي كانت تدرس في هاتين المرحلتين وإنما يستنتج من كتب التاريخ أن المرحلة الاولى كان تدرس فيها مبادئ العلوم الدينية والرياضية والطبيعية وتسمى دروس الخارج . والمرحلة الثانية كان تدرس فيها مقاصد هذه العلوم ولا سيما الفقه وتسمى دروس الخارج .  
ومما لا شك فيه أنه كان يشترط فيمن يريد الالتحاق بالمرحلة الاولى أن يكون متعلماً في المدارس الابتدائية ويكون على قسط من المعلومات العامة في اللغة العربية وسائر العلوم التي تدرس فيها . ويؤخذ أيضاً من المعلومات الناقصة الواردة في كتب التاريخ أن المدارس التي أنشأها السلاطين كمدرسة أبي أيوب الانصارى وغيرها كان تدرس فيها العلوم المقررة في المرحلة الثانية والمدارس التي أنشأها الوزراء مثل مدرسة محمود (باشا) تدرس فيها العلوم المقررة في المرحلة الاولى . ومع كل هذا لم نجد تفاصيل نطمئن إليها في هذا الصدد .

(٢) كلمة الصحن لها عدة معان في اللغة منها وسط الدار . والدار كما تطلق على المنزل والبيت تطلق أيضاً على البلدة والمدينة . فسميت هذه المدارس صحناً لأنها انشئت في وسط المدينة . وهناك رأي آخر يذهب الى ان المدارس المشار اليها سميت بهذا الاسم لأنها في ميدان محيط بالمسجد ولكن اذا نظرنا الى الاماكن التي توجد فيها المدارس يترجح الرأي الاول .

واما تسمية مدارس موصلة الصحن «تتمة» فلأنها طريق الى مدارس الصحن =

ومدارس الصحن هذه هي المدارس الثمان المبينة حول جامع الفاتح وتسمى الصحن الثمان وسلككم عليها قريباً ، واما مدارس موصلة الصحن فهي ثمانى مدارس صغيرة اخرى تسمى « تنمة » بنيت خلف المدارس الثمان المشار اليها اى اربع منها خلف المدارس الكائنة بجهة البحر الابيض وأربع خلف المدارس الكائنة بجهة البحر الاسود ويبلغ عدد مدارس الصحن وموصلة الصحن كلها ست عشرة مدرسة .

وفى وقفية الفاتح سميت مدارس الصحن الثمان بالمدارس العالية وسميت مدارس التنمة بالمدارس الصغرى .

وكان على الطالب لى يجتاز من مرحلة الخارج الى مرحلة الداخل

= فان الطالب لا يسمح له بالالتحاق بالصحن الا اذا درس العلوم المقررة فى التنمة ونجح فى الامتحان .

قلنا فيما تقدم ان مدارس الصحن ثمان ، اربع منها فى جهة البحر الابيض وأربع أخرى فى جهة البحر الاسود ، وإن خلف كل واحدة من هذه المدارس الثمان ثمانى مدارس أخرى تسمى موصلة الصحن او المدارس الصغرى او « التنمة »

وقبل الشروع فى ذكر أسماء هذه المدارس الثمان وبيان معانيها وسبب التسمية نبغى أن نعلم أولاً معانى المفردات التى تتألف منها الاسماء ، وهامى ذى تلك المفردات:

| المعنى        | الكلمة   |
|---------------|----------|
| البحر الاسود  | قره دكرز |
| » الأبيض      | آق »     |
| الرأس         | ناش      |
| القدم = ارجل  | آيناك    |
| مغطاة بالرداص | قورشونلى |
| الزوج         | چيفته    |

وفى ايلي تبين اسماء المدارس ومعانى الاسماء وسبب التسمية وأوضاع بعضهم من بعض =



جامع الفاتح ومدارس الصحن والشمعة

لاشك في أنه لم ينزل من السماء ولكن ساهوى : حوى تجليات إلهية فياضة لا أرض لها .  
( محمد عاكف )

# المجموعة الكائنة في جهة البحر الاسود

مدارس  
التسمة

مدارس  
الصحن

(١)

قره دكنز  
باش قورشونلى

محر

(٢)

قره دكنز  
جيفته  
باش قورشونلى

(٣)

قره دكنز  
جيفته  
آياق قورشونلى

محر

(٤)

قره دكنز  
آياق قورشونلى

# المجموعة الكائنة في جهة البحر الابيض

مدارس  
الصحن

مدارس  
التسمة

آق دكنز  
باش قورشونلى

(١)

محر

آق دكنز  
جيفته  
باش قورشونلى

(٢)

آق دكنز  
جيفته  
آياق قورشونلى

(٣)

محر

آق دكنز  
آياق قورشونلى

(٤)

جامع الفاتح

ومنها الى موصلة الصحن ومنها الى الصحن ، أن يؤدي امتحاناً يثبت به لياقته  
للمرحلة التي يريد الالتحاق بها وكان لا يسمح له بالانتقال من مرحلة الى  
اخرى مالم تثبت لياقته . وإذا أتم الطالب دراسته في مرحلتى الداخل والخارج  
والتحق بموصلة الصحن ودرس العلوم المقررة فيها ونجح في الامتحان أعطى  
براءة سلطانية موشحة بالطغراء [= الطرة] وسجل اسمه بالديوان السلطاني  
العالي وتسمى هذه البراءة السلطانية « ملازمت رؤسى » [= رؤس  
الملازمة ] .

وإذا أراد بعد ذلك ان يتخصص في مادة ، التحق بمدارس الصحن  
وتلقى فيها الدروس في تلك المادة . وأما إذالم يرغب في الالتحاق بالصحن

---

اسم المدرسة الاولى من مدارس الصحن سواء أكانت في جهة البحر الايض  
او الأسود « باش قورشونلى » وهذا الاسم مركب من لفظين : « باش » بمعنى  
الرأس و « قورشونلى » بمعنى المغطاة بالرصاص وسميت به لأنها في مقدمة مجموعتها  
وضعاً كما أن الرأس في مقدمة أعضاء الانسان . وحجرها ، هى وأخواتها تعلوها  
قباب مغطاة بالرصاص كقبة مسجد محمد على بقلعة مصر ، وهذا هو السبب في  
تسمية كل واحدة منها « قورشونلى »

اسم المدرسة الرابعة في الجهتين المذكورتين « آياق قورشونلى » وهذا الاسم ايضاً  
مؤلف من لفظين : « آياق » بمعنى القدم و « قورشونلى » عرفت معناها وسبب  
التسمية بها . وسميت هذه المدرسة بهذا الاسم لأنها في نهاية مجموعتها وضعاً كما أن  
القدم في نهاية أعضاء الانسان . وقبابها مغطاة بالرصاص كالأولى

اسم المدرسة الثانية في الجهتين أيضاً « چيفته باش قورشونلى » وهذا الاسم  
مركب من ثلاثة ألفاظ : الاول « چيفته » بمعنى الزوج ، وقد عرفت معنى الثانى =

مكتفياً بدراسة المراحل السابقة فكان يعين قاضياً في المدن ما عدا المدن الكبيرة كاستانبول وأدرنه وبروسه .

والطلاب الذين أتموا مرحلتى الخارج والداخل باستانبول أو ما يعادلها في مدارس المدن الأخرى يصبح أن يعينوا نواباً عن القضاة في المدن الصغيرة وذلك بشرط أن يؤدوا إمتحاناً في مواد الصك والمحاضر والسجلات .

وأما التخصص في مدارس الصحن فلم يكن شرطاً لتولى القضاء وإنما كان شرطاً لتولى التدريس . والطالب الذى يتم مرحلة التخصص في الصحن ونال شهادتها [ وكانت هذه الشهادة تسمى « رؤس » ] يعين أول ما يعين

---

— والثالث . وسميت هذه المدرسة بهذا الاسم لأنها هي والثالثة زوجان متصلتان ببعضهما ببعض موصولتان عن الأولى والرابعة بعمرين كما يبدو في الصورة المرسومة ص ٨٧ وأما سبب تسميتها « باش » إما لقربها من المدرسة الأولى المسماة بها فكأنهما زوجان من الرأس وإما لأنها في مقدمة وحدتها فإنها هي والثالثة تؤلفان وحدة مستقلة في وسط المجموعة .

واسم المدرسة الثالثة في الجهتين كذلك « چيفته آياق قورشونلى » وهذا الاسم مركب من ثلاثة ألفاظ قد عرفت معنى كل منها وسبب تسميتها « چيفته » عند ما تمكنا آتفا على اسم المدرسة الثانية . وأما تسميتها « آياق » مع أنها ليست في النهاية أما لقربها من المدرسة الرابعة المسماة بها وأما لأنها في نهاية وحدتها .

هذا ؛ ويضاف الى اسم كل مدرسة من مدارس المجموعتين اسم البحر الذى تقع في جهته فيقال مثلاً : « قره دكز باش قورشونلى . . . . الخ وآق دكز باش قورشونلى . . . الخ تمييزاً لها عن مشاركتها فى الاسم .

ويظهر من الصورة المرسومة ص ٨٧ ان خلف كل واحدة من مدارس الصحن =

مدرسا بمدرسة من الدرجة الابتدائية ثم يترقى بالتدريج الى أن يتولى التدريس في أكبر مدرسة .

وكان أقدم طالب من أصحاب الحجرة المقيمين بمدارس الصحن يسمى « معيداً » ويساعد الطلبة المستجدين في مذاكرة دروسهم كما كان يؤدي دروسا لطلبة مدارس التتمة السابق ذكرها .

وكان قضاء المدن الكبيرة مثل استانبول وبروسه وأدرنه يسند الى من كان في مستوى كبار الاساتذة البارزين الذين امتازوا بكفاءتهم العلمية ومؤلفاتهم القيمة .

---

= في الجهتين المذكورتين مدرسة صغيرة من مدارس التتمة وبها يبلغ عدد المدارس كلها ست عشرة مدرسة . ويشتمل كل واحدة من مدارس الصحن الثمان على تسع عشرة حجرة وقاعة كبيرة لالقاء الدروس والمحاضرات على الطلبة . واما مدارس التتمة فيشتمل كل واحدة منها على ثمانى حجرات . ويؤخذ من كتب التاريخ انه كان يقيم في كل حجرة من حجرات الصحن الثمان طالب [ دانشمند ] وفي حجرات « التتمة » ثلاثة طلاب [ = دانشمند ] .

ويقدم لنا المؤرخ « صولاق زاده » المعلومات الآتية عن المدارس المذكورة :  
أنشئت أربع مدارس عليا في كل جانب من جانبي المسجد المبارك وفي كل مدرسة منها تسع عشرة حجرة . حجرتان منها معدتان للاستاذ والمساعد [ المعيد ] وحجرتان للفراش والبواب ، والخمس عشرة الباقية لسكنى الطلبة . وسميت هذه المدارس صحناً لأنها انشئت في وسط المدينة . ولما كان عددها ثمانية أصبحت مغبوبة الجنات الثمان ومحسودة السموات السبع . وتوجد خلف كل مدرسة من هذه المدارس الثمان مدرسة ملحقة بها تسمى ( تتمه ) تشتمل على ثمانى حجرات يسكن في كل منها ثلاثة طلاب ويصرف لكل منهم مرتب شهرى قدره ( ١٢ آقچه ) كبذل الشمع وبني بجوار هذه المدارس مطعم خيرى ومستشفى كامل المعدات وسائر المرافق .

وقد أنشأ محمد الفاتح بجوار هذه المدارس مطعماً خيراً ومستشفى كامل المعدات وكان الطلاب الذين يدرسون الطب يتمرنون في هذا المستشفى .  
والخلاصة : كانت فروع العلم كلها تدرس في هذه المدارس ويتخرج فيها القضاة والأطباء والمهندسون .

وفي عهد السلطان سليمان القانوني اتسعت رقعة البلاد أكثر من ذي قبل فست حاجة الجيش إلى عدد كبير من الأطباء والجراحين كما اكتسبت الهندسة أهمية كبرى فأنشئت بجوار مسجده المعروف باسمه - ذلك المسجد العظيم الذي يمثل العصر الذهبي العثماني (١) - مدرسة طب ومستشفى كما أنشئت حول المسجد أربع مدارس لتدرس فيها العلوم الرياضية والطبيعية . وأنشئت أيضاً دار الحديث والحقت بهذه المدارس عدة مدارس أخرى كقسم إعدادي لها وسميت « موصلة السلمانية » وإذا أتم الطالب مرحلتي الداخل والخارج وأراد أن يدرس الطبيعة والرياضة والطب التحق بموصلة السلمانية [ = تمتاز السلمانية ] وإذا رغب في دراسة الأدب العربي والفقه والتفسير والكلام وسائر العلوم الإسلامية التحق بموصلة الصحن [ = تمتاز الفاتح ] ويرجع للحصول على تفاصيل أكثر مما ذكرناه إلى كتب التاريخ

---

(١) وقد وصف هذا المسجد العظيم شاعر الإسلام المرحوم محمد عاكف (\*) (بك) وصفاً رائعاً بديعاً في قصيدة عصماء تعد آية في الشعر التركي كما أن الموصوف معجزة فن الهندسة .

---

(\*) وهو شخصية معروفة بمصر أقام بها مدة طويلة وتولى تدريس الأدب التركي بجامعة القاهرة ثم مرض وسافر إلى استانبول وتوفي بها إلى رحمة الله سنة ١٣٥٥ هـ و١٩٣٦ م ودفن بمقبرة « أدرنه قبو » أغدق الله عليه سجال رحمته وأسكنه بمحبوبة جناته :  
وله ديوان مؤلف من سبعة أجزاء باسم « صفحات » يضم روائع الشعر وعيون القريض .

وخصوصاً الى تاريخ جودت ( باشا ) (١) .

كان الموظفون المنوط بهم تحقيق العدالة من أصغر موظف الى قاضى العسكر علماء وقورين ممتازين فى الفقه والحقوق كل على حسب المركز الذى يشغله كما كانوا من حسن الخلق والسلوك بحيث لا سبيل الى الاعتراض عليهم . وانهم فى اثناء دراستهم الدينية والأدبية تلقوا تربية دينية وتأصلت فى قلوبهم عقائد دينية دفعت الجمهور الى احترام شخصياتهم واوحت الى النفوس ثقة عظيمة بصحة الاحكام التى يصدرونها . كما أن ولى الأمر لم يكن يضمن عليهم بعطفه ورعايته فكانت معروضاتهم تقبـل منه موقع القبول والاجابة .

#### وظائف القضاة :

أشرنا فى كتابتنا التى صدرنا بها الكتاب الى أن كتب التاريخ زاخرة بمعلومات مسهبة عن الأحداث السياسية والمعارك الحربية وعن الحركات

---

(١) نذكر فيما يلى بعض شخصيات علمية تولوا التدريس بمدارس محمد الفاتح لتأخذ فكرة عن جلال هذه المدارس وعظمتها : علاء الدين طى الطوسى ، المولى خسرو ، المولى زيرك ، خواجه زاده ، السكستلى ، خطيب زاده ، عبد السكريم ، حسن بن عبد الصمد السمسونى ، الحاج حسن زاده ، افضل زاده حميد الدين ، يعقوب باشا ، حسن چلبى ، قاضى زاده ، ابن مغنيسا ، حسن بن حامد التبريزى ، بهاء الدين ، سراج الدين ، مصلح الدين البار حصارى ، علاء الدين على القفارى ، يوسف بن حسين الكرماسقى . هؤلاء العلماء الاعلام حذقوا العلوم العقلية والنقلية كل الحذق وتخصصوا فيها وعرفوا فى البيئات العلمية بعلمهم وفضلهم وبما ألفوا من الكتب العلمية القيمة . جرت مناظرة علمية بين المولى زيرك وخواجه زاده بحضوره السلطان محمد الفاتح استمرت سبعة أيام . تصوروا غزارة العلم وسعة التفكير اللتين مكنتا هذين العالمين من إستدامة المناظرة مدة اسبوع كامل .

العلمية وتراجم الأمراء والعلماء والشعراء ومشايخ الطرق . ولكنها شحيحة فيما يختص بالقضاء والتشكيلات القضائية ووظائف القضاة والنظم المتبعة والقواعد وإنما اكتفت كتب التاريخ في هذا الصدد بتقديم معلومات عن الأوصاف التي يجب توافرها فيمن يتولى القضاء وعن الأعمال البلدية التي يقوم بها القضاة اجمالاً .

هذا ؛ ولا نجد في كتب التاريخ ايضاً إحصاءات عن الأعمال الواردة الى المحاكم والنظم المتبعة في نظر القضايا وإجراء الأحكام . ويخيل الى أن السبب في خلو كتب التاريخ من هذه المعلومات أن القضاة كانوا مكلفين بتطبيق الأحكام الشرعية على ما يعرض عليهم من الحوادث والقضايا وكانت هذه الأحكام معلومة لهم سواء كانت خاصة بأصول النظر أو بإجراء الأحكام وتنفيذها .

والواقع أن هذه الأحكام مدونة في كتب موثوق بها مؤلفة من قديم الزمان وكل عالم أو قاض يطلع على هذه الكتب ويدرس الأحكام المدونة فيها ويعرفها معرفة تامة .

وان قضاة تلك العهود بلغوا من متانة الخلق وقوة العقيدة مستوى لا يسمح لهم بإصدار الحكم من غير بحث شامل ودرس دقيق . على أنه لم يكن ذلك في أماكنهم حتى ولو أرادوه فإن العلماء والمفتيين كانوا واقفين لهم بالمرصاد يراقبونهم مراقبة علمية ويحاسبونهم حساباً عسيراً على أقل هفوة تقع منهم .

ولست بنا حاجة إلى العود الى الماضي البعيد للاستدلال على صحة ما قلناه فاننا نعلم أنه كان هناك الى عهد قريب قضاة من رجال الدين تخرجوا في المعاهد الدينية إذا عرضت على أحدهم قضية هامة لا يصدر حكمه فيها ما لم يقتلها بحثاً ودرساً ويستشير العلماء ويراجع المفتيين حتى يحصل له اقتناع

تام . وقد أدركنا نحن كثيراً من أمثال هؤلاء القضاة الأمثال . وقد درجت دار الافتاء باستانبول على هذا المنهج القويم من الصلابة التي لا تعرف اللين وظلت حريصة عليها الى أن ألغيت .

وإننا وإن كنا لا نجد في كتب التاريخ احصاءات دقيقة عن عدد القضايا التي كانت تعرض على المحاكم غير أنه يمكننا أن نستنتج من السجلات الخاصة بعهد السلطان سليمان القانوني وعهود من وليه من السلاطين ، المحفوظة في مخزن الاوراق ، أنها ما كانت بواقع الواحد في المائة بالنسبة لما يعرض الآن من الحوادث حتى إن القضايا التي كانت تعرض على المحاكم قبل نحو سبعين سنة لم تكن بأكثر من الواحد في المائة بالنسبة لعدد القضايا التي تعرض اليوم . وكانت هذه الظاهرة الاجتماعية السعيدة نتيجة لمثانة خلق الشعب وعدالة المحاكم التي كانت تتجلى بسرعة عقب مرافعة بسيطة خالية من الاجراءات الشكلية المعقدة على اختلاف أنواعها . ولا ننسى هنا فضل المفتيين وثقة الشعب بهم في فصل ما شجر بينهم من الخصومات وسنعرض في مبحث الافتاء لخدمات المفتيين للعدالة .

وبعد أن أدت بنا المناسبة الى ذكر هذه الحقائق استطراداً أعود الى أصل الموضوع فأقول :

كان القضاة بما لهم من الولاية العامة يفصلون فيما يعرض عليهم من القضايا المدنية والجنائية وفقاً للأحكام الشرعية ويشرفون على أموال الوقف والقصر ويتنظرون على الأوقاف التي لا ناظر لها ويعينون أوصياء على القصر الذين ليس لهم أوصياء وعلى السفهاء المحجور عليهم ، ويراقبون إدارة أموالهم . لم يكن الرجوع الى القضاء خاضعاً لاي اجراء وانما يتوجه صاحب القضية الى المحكمة مباشرة إما بعريضة أو بدونها وتسجل فيها قضيته فتدعو المحكمة اليها الطرف الثاني في القضية المتنازع فيها وبعد المرافعة والمحاكمة يصدر الحكم .

وكانت الرسوم المستوفاة قليلة جداً . وكان للقاضي أن يستفتى مفتي الانام [ = شيخ الاسلام ] او أى مفت آخر او عالم فى القضايا المشككة على انه اذا جاء الرد غير موافق لرأيه لم يأخذ به . وكانت الاحكام الصادرة تنفذ بمعرفة الموظفين المختصين دون أن تكون خاضعة لمراسم . وكانت النظم الخاصة بتتبع سير القضايا من البساطة بحيث لا تؤدى الى التسويف والتأخير .

قلنا فيما مضى إن المقاولات والمعاملات التى تحدث بين الجمهور تسجل من قبل كتاب العدل وانه لا بد من وجود كتاب العدل تحت إشراف القضاة . ففي الدولة العثمانية قامت المحاكم بهذا العمل إلى المدة الأخيرة وذلك اذا وكل أحد شخصاً آخر أو أقر ديناً أو باع أو وهب أو أجر أو عقد شركة وما الى ذلك من المعاملات وأراد توثيقها ، توجه اصحاب الشأن الى المحكمة يقررون امامها ما قاموا به من المعاملة ويسجلونه ويتسلمون وثيقة خاصة بذلك مختومة بخاتم القاضى ويحتفظون بها . واستمر هذا النظام الى المدة الأخيرة على النحو المذكور .

وكانت الدعاوى والحوادث التى ترفع الى المحاكم الشرعية تضبط ضبطاً متقناً يوثق به ويطمئن اليه النفس فانه ، كما يفهم من المضابط والسجلات الموجودة بين أيدينا التى يرجع عهدها الى نحو أربعائة سنة ، اذا وردت الدعوى الى المحكمة قيدت اولاً فى جريدة الضبط واذا فصل فيها وصدر الحكم سجلت الاعلامات والجميع التى تنظم وفقاً للمضابط فى سجلات خاصة تحفظ بعناية تامة .

وفى العصر الثانى الهجرى بعد الاسلام أحدث علم الصك اى علم تحرير المضابط والاعلامات والمقاولات ويسمى علم المحاضر والسجلات وعلم الشروط ايضاً . وقد بنى هذا العلم على أسس متينة وقواعد عامة تطبق فى جميع

المحاكم الكائنة في البلاد الاسلامية كلها فانك اذا اطلعت على إعلام صدر من محكمة الكوفة وإعلام آخر صدر من محكمة القاهرة وجدتهما متحدين في اللفظ والتعبير والاصطلاح سوى ما يخص كلا منهما من الزمان والمكان ونوع القضية وما الى ذلك من الخصوصيات . (١)

وكان لا يكتب في الإعلانات والمستندات ما لا حاجة اليه من حشو الكلام ، ولا يترك أى قيد او لفظ هام لاغنى عنه وكأن الانسان يحس عندما يقرأ هذه الاعلامات أنه يقرأ بحثاً فقهياً .

ومحصل الكلام : كان يعنى عناية بالغة للغاية بتنظيم الوثائق وتسجيلها والمحافظة عليها . ولكي نفهم مبلغ هذه العناية والدقة المتناهية يكفيننا أن نلقى نظرة فاحصة الى هذه السجلات والمجلدات التى يبلغ عددها نحو ألف سجل وتسمى « قيود خاقانى » (٢)

---

(١) كانت قواعد هذا العلم الاساسية وضعت من قبل الفقهاء الاولين ولكنها لم تطبق عملياً الا فى سنة ١٢٠ هجرية ، فعبدالله ابن شبرمة من كبار الفقهاء هو الذى بدأ فى تسجيل الاعلامات فى سجل خاص . وكانت الدعاوى والاحكام لا تسجلان فى العهد النبوى ولا فى عهد الخلفاء الراشدين والاصحاب ولا فى عهد التابعين وانما يكتب فى بالحكم الشفوى يصدره القاضى وينفذه المتقاضون فور صدوره وكانت متانة أخلاق الجمهور وقلة الحوادث لا تدعوان الى ضبط الحوادث وتسجيل الاحكام ، واستمرت الحالة على هذا الى أن ولى ابن شبرمة قضاء الكوفة فكثرت الحوادث وتطورت الاخلاق فمست الحاجة الى الضبط والتسجيل والتوثيق .

(٢) « قيود خاقانى » هى إحصاءات رسمية عن القرى والمزارع والمراعى والمصايف والمشاتى وسائر الاراضى الكائنة فى البلاد العثمانية والجهات التى تكون مربوطه بها وتابعة لها . وقد أجريت هذه الاحصاءات فى العهد العثمانى ، وبصفة خاصة فى عهد السلطان سليمان القانونى وعهد السلطان مراد الثالث قامت بها لجان اختيار

وكانت للقضاة وظيفة أخرى غير الوظائف السالفة الذكر تتمثل بأعمال بلدية لاقضائية وظلوا يباشرون هذه الاعمال البلدية في الولايات والسناجق والمراكز الى عهد التنظيمات »

— أعضاؤها من ذوى السكفاء والاستقامة ودونت في سجلات خاصة تدويناً دقيقاً متقناً منظماً صحيحاً خالياً من شائبة الشك والتزوير . ويبلغ عدد هذه السجلات ٩٧٠ سجلاً كانت تحفظ في دار المحفوظات السلطانية [ دفترخانه خاقاني ] بداخل مخزن محكم مختوم يصل اليه الانسان من أربعة أبواب حديدية متداخلة . وأخيراً نقلت هذه السكروز الثمينة من استانبول الى آقرة وتحفظ الان بداخل دواليب زجاج في مبنى محكمة النقض في عهدة موظف .

وكان في العهد العثماني اذا لزم تغيير مربوطة قطعة من الاراضى المسجلة في تلك السجلات وذلك بناء على الاذن الشرعى ، يستصدر المرسوم السلطاني من قلم الديوان الهمايوني ويدون رئيس قلم التوقيع خلاصة المرسوم في صدر البيان الخاص بتلك القطعة ويضع إمضاءه تحت الخلاصة ، ويجرى كل هذه الاجراءات بحضور ناظر « دفتر خاقاني » ثم يعاد السجل الى المخزن كما يحفظ المرسوم لدى الموظف المختص . هذه الوثائق قيمة جداً ورائعة جداً وقد بلغت قيمتها وروعها حداً يصح معه أن يعد مفخرة يفخر بها الدكاء التركي ، ودليلاً يستدل به على مقدرته على الابداع والاختراع فبال الخط في الكتابة ، والدقة المتناهية في الترتيب ، والامانة الكاملة في تدوين المعلومات ، والاتقان البالغ الغاية في البيانات ، ونفاسة التجليد كل ذلك فوق التصور والتقدير .

وقد أبدعت هذه الآثار القيمة التي لم يكن يرى مثلها ، الى ذاك الوقت ، تحت إشراف جماعة من علماء الترك ويستدل منها ومن غيرها من الآثار الخالدة التي ورثناها من أجدادنا على أن الاتراك أبدعوا لا في فن الحرب والقتال فحسب بل في ميادين العلم والادارة والحضارة . ولا يكتم المستشرقون ورجال بعض البلاد المنسلخة من الامبراطورية العثمانية إعجابهم بالدكاء التركي الذي أبدع هذه النفائس . واني أنصح شباننا أن يزوروا هذه السجلات ويستجلوا محاسنها ويتأملوها بعين العبرة والدقة.

وكانوا مرجعاً لأرباب الحرف والصناعات في شئونهم الخاصة بهم فتعيين «كتخد» (١) و «يگيت باشى» (٢) وعزلهما ، وزيادة الاسعار أو خفضها ومراقبتها والمحافظة على النظام المتبع بين أرباب الحرف وفصل ما يحدث بينهم من المنازعات كل ذلك كان من جملة وظائف القضاة .

كان القضاة يندبون من قبلهم نواباً ومفتشين يفتشون السوق ويمنعون أهلها من المخالفة للأوامر والنظم ويعاقبون من يجرأون على ارتكابها ويسمى هؤلاء النواب «نائب القدم» لانهم يؤدون أعمالهم وهم واقفون على أقدامهم ويجد القارىء تفصيلات أكثر مما قدمناه في هذا الموضوع في الجزء الاول من كتاب «مجلة الامور البلدية» لمؤلفه الباحث القدير عثمان نورى أرگين .

#### الاحتساب :

ذكرنا في المقدمة معنى الاحتساب والاصل الذى يتفرع عليه من الاصول الشرعية مع بيان وظيفة المحتسبين . اقتفى العثمانيون اثر الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفاءه الراشدين رضوان الله عليهم فى الاحتساب ايضاً كما اتبعوهم فى القضاء فعينوا موظفين مستقلين ليقوموا بشؤون الاحتساب ويسمى هؤلاء الموظفون «المحتسب» [ احتساب آغاسى ] .

(١) اسم مركب من لفظين فارسيين أحدهما «كت» بفتح الكاف العربية واصله «كد» بمعنى البيت والآخر «خدا» بضم الخاء المعجمة بمعنى صاحب ومعنى الاسم - صاحب البيت وكلمة «كخيا» محرفة منه . ويطلق على الوكيل والمعتمد وعزير القوم وغير ذلك من المعانى والمقصود منه هنا رئيس أرباب الحرف والصناعات ومدير شئونهم ومدير امورهم .

(٢) «يگيت» بمعنى فنى فى ريعان الشباب مكتمل القوة شجاع . والمقصود منها هنا الموظفون الذين يكونون تحت يد الكتخد وينفذون أوامره ونواهيته . و «يگيت باشى» رئيس هؤلاء الموظفين .

كان في كل مركز [ قضاء ] محتسب كما كان في استانبول والبلاد المصطلح على تسميتها البلاد الثلاثة ولا يمكن تحديد عملهم بالضبط في عهد الفاتح ولكن الامر المحقق أن القاضى هو المرجع الاصلى فى الشؤون البلدية فهو الذى يحدد الاسعار (١) ويفصل فيما يحدث بين أرباب الحرف من المنازعات ، وأما ما عدا ذلك من الأعمال المتصلة بالبلدية فيؤديها نائب القاضى [ نائب القدم ] والمحتسب والمعمار الأول . وقد حدثت تغيرات كثيرة فى اختصاص هؤلاء فى عهود مختلفة .

والمفهوم من كتب الفقه والتاريخ أن عمل المحتسب لم يكن مقصوراً على شؤون البلدية بل كان يمتد الى شؤون اخرى تتصل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١) ذكر فى كتب الفقه فى باب الحظر والاباحة فى فصل البيع ما نصه : لا يسعر على الناس فانه نوع حجر إلا أن يتعدى التجار تعدياً فاحشاً فى القيمة - وقدّر التعدى الفاحش بزيادة مثل القيمة بأن يبيعوا أردب القمح بمائة مثلاً وهو يشتري بخمسين - فلا بأس حينئذ بالتسعين بمشورة أهل الخبرة . وأجاز الامام مالك رحمه الله التسعير فى عام القحط .

والاصل فى ذلك ما روى ان السعرا غلاب المدينة فقالوا يا رسول الله : « لو سعرت ؟ » فقال لا تسعروا فان الله هو المسعر القابض الباسط الرازق »

أخرج هذا الحديث ابوداود والترمذى فى « البيوع » وابن ماجه فى « التجارات » عن حماد بن سلمة عن قتادة وثابت وحميد . ثلاثهم عن أنس قال الناس : يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله هو المسعر القابض الرازق وإنى لارجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة من دم ولا مال » قال للترمذى حديث حسن صحيح .

وجواز التسعير بنى على القساعدة الفقهية : « الضرر يدفع بقدر الامكان » و « يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام » واما المنع الوارد فى الحديث الشريف فمحمول على ما إذا كان الغلاء طبيعياً ولم يكن مستظناً ولا نتيجة لجشع التجار .

وقد مر بنا فيما تقدم أن من ضمن اختصاصهم أن يمنعوا معلى الأطفال من القسوة عليهم إذا جاوزوا الحد المقرر في تأديبهم . ولا يسمحوا للملاحين بشحن السفن بأكثر مما تسعه من الاحمال والأثقال .

### القضاة ومستواهم العلمى والخلقى :

قلنا فيما تقدم أنه عندما نستعرض الحياة العدلية لعهد من العهود يجب أن نضع امام أعيننا ميول ولى الامر ومقدرته على تنفيذ ارادته ، ومبلغ قضااته من العلم والخلق وقلنا ايضاً إننا عندما ندرس الحياة العدلية لعهد الفاتح نبتدىء دراستنا من هذه النقطة . وفى كلامنا السابق حاولنا جهد استطاعتنا أن نبين ميول السلطان ومقدرته وحظ القضاة من العلم والان نريد أن نعرض فى الهامش تراجع بعض العلماء الذين تولوا القضاء فى استانبول وفى سائر الولايات والمدن الأخرى نقلاً عن أوثق المصادر وذلك لى يكون القارىء الكريم فكرة عن قضاة ذلك العهد .

وبالطبع لا يمكننا أن ندرج هنا تراجع قضاة العهد المذكور كلهم ولكن بالقياس على ما نذكر منهم لا تصعب معرفة احوال الباقين فان المذكورين يمثلون عصرهم فى ثقافته وخلقه أصدق تمثيل . كما أن قضاة بلادنا اليوم يمثلون العصر الحاضر من الناحيتين العلمية والخلقية .

المكتبة العربية زاخرة بكتب تراجع القضاة الذين تولوا القضاء فى مختلف البلدان الاسلامية : قرطبة ومصر والشام وبغداد والبصرة (١)

---

(١) نذكر من الكتب المذكورة على سبيل المثال : اخبار القضاة لوكيع القاضى ، وقضاة مصر للسكندى ، رفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلانى وذيله للحافظ السخاوى . والنجوم الزاهرة فى قضاة مصر والقاهرة لسببط ابن حجر ، قضاة قرطبة لمحمد بن الحارث الحثنى ، قضاة الاندلس لابن الحسن على بن عبد الله الباهى ، الثغر البسام فى ذكر من ولى قضاء الشام للحافظ الشمس بن طولون الدمشقى ، روضة القضاة لابی القاسم على بن محمد السمنانى .

ولكن المكتبة التركية قفر - مع الاسف - من أمثال هذه الكتب حتى اننا كنا لا نعرف - الى عهد قريب - ترجمة اول قاض في استانبول ، وقد سد هذا النقص باحثنا الجليل الدكتور سهيل بك - شكر الله سعيه - برسالته المسماة « خضر بك » فعرفنا بهذا القاضى الكبير والعالم الجليل . نعم كان خضر بك (١) اول قاض تولى القضاء فى القسطنطينية بعد فتحها . وأما قبل

(١) خضر بك بن جلال الدين ولد فى « شهر محصار » من بلاد الاناضول وقرأ مبادئ العلوم على والده وكان قاضياً بها ثم وصل الى المولى محمد بن آدمغان الشهير بالمولى يگان فتلقى عنه العلوم العقلية والنقلية وبلغ رتبة السكال وتزوج بنته وكان متقد الله كاء ذافهم صحيح وعلم غزير وباع متمد فى النظم والنثر وحصل العلوم الغربية والفنون العجيبة ولذلك سمي بين العلماء « جراب العلم » . حكى انه جاء رجل متبحر فى العلوم من بلاد العجم فى اوائل جلوس السلطان محمد الفاتح فحضر مجلس السلطان واجتمع مع علماء البلاد ورؤسائهم وسأل عن المباحث الغربية فانقطع السكل وعجزوا عن الجواب فاضطرب السلطان اضطراباً شديداً فطلب رجلا له الاطلاع على العلوم الغربية فذكروا المولى خضر وكان شاباً - وكان زيه على زى العسكر فأحضره فضحك العجمى مستصغراً له فقال المولى خضر هات أسئلتك فأورد الاسئلة من علوم شتى فأجاب عنها ثم سأله المولى من ستة عشر فناً لم يطلع عليها الرجل فانقطع وأخف فطرب لذلك السلطان طرباً شديداً وأثنى على المولى ثناء جميلاً وأعطاه مدرسة جده السلطان محمد چلبى فى بروسه فدرس فيها وتلمذ عليه مصلح الدين الشهير بخواجه زاده وشمس الدين الشهير بخطيب زاده وخير الدين معلم السلطان وغيرهم ولما فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية ولاء قضاءها ومات هناك سنة ٨٦٣ ثلاث وستين وثمانمائة هـ ، وله نظم العقائد يعرف بالقصيدة النونية ونظم آخر معروف بالتائية أدرج فيهما ما فى الكتب الضخام من علم السكلام وقد تلقى العلماء النونية بالقبول فدرسوها وعنوا بها وأظنها لم يكتب مثلها فيما بعد وقد شرحها أعز تلامذته شمس الدين احمد الحيالى ويقال انه ترجم كتاب المطالع الى اللغة الفارسية والترجمة =

الفتح فقد أقام فيها السلطان بايزيد الاول الملقب بيلديرم [ = الصاعقة ] قاضياً للفصل في الخصومات التي تلشب بين المسلمين المقيمين بها ولكن هزيمته في معركة أنقره وما أعقبها من اضطراب الامر في الدولة وتنازع الامراء السلطنة أتاحت (للبيزنطيين) فرصة التخلص من القاضى المذكور . وبعد خضر بك تولى قضاءها في عهد الفاتح المولى خسرو (١) ثم خواجه

= موجودة في مكتبة آياصوفيا . وهو الذى ابتكر التاريخ نظاماً بحساب الجمل فقال : « جامع زيد عمر من عمره » تأريخاً لمسجد بناء الفاتح سنة ٨٥٠ هـ . وأما قبله فكانوا يؤرخون ثراً مثل كلمة « خراب » تأريخ لتخريب تيمورلنك مدينة سيواس بالاناضول سنة ٨٠٣ هـ ثلاث وثمانمائة و « بنيان محمد خان » تأريخ لحسن الرومى الذى بناه الفاتح على البسفور سنة ٨٥٦ هـ . ويقال انه حفيد من جهة البنت للفيلسوف نصر الدين خواجه [ = جحا الرومى ] المعروف بطرائفه ونكاته اللاذعة .

هذا : وأرخ السخاوى فى الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع وفاة صاحب الترجمة سنة ٨٦٠ هـ حيث قال : خضر بيك بن القاضى جلال الدين بن صدر الدين بن حاجى ابراهيم خير الدين الرومى الحنفى احد علماء الروم ومدرسيهم وأعيانهم ولد فى مستهل سنة ٨١٠ عشر وثمانمائة ونشأ فى مدينة بروسه واتفقه بالبرهان حيدر والفنارى وبرع فى النحو والمعانى والبيان وصنف وأفاد ومن تصانيفه حواش على حاشية السكشاف لاتفتازانى وارجوزة فى العروض وأخرى فى العقائد وقدم مكة سنة ٦٥٩ تسع وخمسين وثمانمائة ومات سنة ستين وثمانمائة انتهى» الفوائد البهية

(١) هو محمد بن فرامرز [ فراموز ] الشهير بالمولى خسرو — وفى رواية كان ابوه رجلاً رومى الاصل او فرنسياً اعتنق الاسلام ولكنه كتب بخط يده فى ختام كتابه الدور والغرر وكتابه المرقاة مانصه : « أنا الفقير محمد بن فرامرز بن على » وظن بعض المؤرخين أن « فرامرز » كلمة افرنجية وبني على هذا الظن ان والده كان فرنسياً او رومياً . والواقع ان الكلمة فارسية (\*) واسم لابن رستم بن زاله بن سام احد =

(\*) اسم مركب من لفظين احدهما « فرا » بفتح الفاء وله معانى كثيرة منها الأخذ والآخر « مرز » بفتح الميم وسكون الراء من معانيه الارض والتخوم . ولعل معنى الاسم التركيبى قبل العلمية أخذ البلاد وفاتها .

زاده (١) ، وابن مغنيسا (٢) . . . . .

= الابطال الايرانيين القدماء ، ولركن الدين فرامرز والد كيقباد الثاني آخر ملوك  
سلاجقة قونية مات والده وهو صغير فنشأ في حجر زوج اخته المسمى « خسرو بك »  
احد الأمراء العثمانيين فعرف بأخى زوجة الامير خسرو ثم اختصر الاسم بكثرة  
الاستعمال فقليل خسرو . تلقى العلوم كلها من المولى برهان الدين حيدر الهروي من  
تلاميذ سعد الدين الفتازاني فعين مدرساً لمدرسة « شاه ملك » بأدرنه ثم قاضياً  
للعسكر ، ولما توفي المولى خضر بك سنة ٨٦٣ ولاء السلطان محمد الفاتح قضاء استانبول  
مضافاً اليه قضاء غلطة واسكدار من ضواحي استانبول مع التدريس بمدرسة آياصوفيا .  
وكان يباشر قضاء استانبول بنفسه وقضاء غلطة واسكدار بواسطة نواب عنه .  
وبعد ذلك اسند اليه منصب الافتاء الرفيع . وكان بحراً زاخراً عالماً بالمعقول والمنقول  
جامعاً للفروع والاصول من تصانيفه الغرر وشرحه الدرر في الفقه ومرقاة الاصول  
وشرحه وحواشي المطول كتبها حين كان مدرساً بمدرسة شاه ملك وحواشي تفسير  
البيضاوي الى قوله تعالى ميقول السفهاء ورسالة في الولاء أبدع فيها الفوائد العجيبة .  
وكان السلطان محمد الفاتح يحله ويفخر به قائلا « هو ابو حنيفة عهدي » وكان  
رحمه الله متخليقاً بخلق حسن متواضعا يقضي حوائجه بنفسه ، توفي سنة ٨٨٥ هـ ونقل  
جثمانه الطاهر الى مدينة بروسه ودفن بجوار مدرسته فيها

(١) ذكرت ترجمته في ص ٤٠

(٢) هو محي الدين محمد الشهير بابن مغنيسا قرأ على العلماء المعاصرين له ثم  
وصل الى استاذة المولى خسرو فنال بالغ تقديره كما ظفر بلفظة الفاتح بتركية من استاذة  
فعينه مدرسا لمدرسة وزيره محمود باشا وكان قد تم الشاؤها وقد حضر اول درس  
ألقاه فيها — ويظهر انه كان عادة في ذاك الوقت — استاذة المولى خسرو وخطيب  
زاده وغيرها من كبار العلماء فسمعه الى آخر الدرس . ولما فرغ من إلقائه أظهر  
المولى خسرو إعجابه وتقديره قائلا : شهدت في ديار الروم درسين احدهما هذا الدرس =

والكستلاني (١) . . . . .

= والآخر هو الدرس الأول الذي ألقاه محمد شاه الفناري بمدرسة السلطانية . وقد تولى صاحب الترجمة التدريس في عدة مدارس وقضاء العسكر وكان موفقا في كل عمل تولاه وتخرج على يده مئات من الطلاب والتلاميذ .

(١) هو مصطفى مصلح الدين من قرية « كستل » التابعة لمركز ( قضاء ) « نازلي » في ولاية « آيدين » بالاناضول . قرأ مبادئ العلوم في آيدين ثم وصل الى خضر ( بك ) فأتم دراسته لديه فزوج بنته . وبذلك اتاحت له فرصة الاجتماع بمساعدي استاذة : الحياي وخواجه زاده وكان محبا للمناظرة والنقاش وماهرا في العلوم كلها . حكى المولى لطف الله التوقاني قال : كنت من طلبة المولى سنان باشا وكان وزيرا وكان من عادته دعوة العلماء ليالى العطلة واحضار الأطعمة النفيسة اللطيفة فاجتمعوا عنده ليلة وفيهم مصلح الدين الكستلاني وخواجه زاده وخطيب زاده وكان عندي زميل اتحدث معه فقلت في أثناء الكلام : مرضت أنا في وقت من الاوقات فعرفت الدم وانصبغت قميصي فضحك زميلي فتنبه العلماء لذلك وقالوا لم ضحكك فقال : لطف الله يقول كذا وكذا فضحك العلماء ايضا فقال الكستلاني مم تضحكون ؟ هذا مرض فلاني ذكره الشيخ الرئيس يعنى ابن سينا في الفصل الفلاني من القانون ، فقال خواجه زاده له طالعت القانون بتمامه ؟ فقال : نعم وجميع مصنفات ابن سينا . ثم قال الكستلاني لخواجه زاده : أنت طالعت الشفاء بتمامه قال لا وانما طالعت مواضع الحاجة فقال الكستلاني : إني طالعته بتمامه سبع مرات ، فتعجب الحاضرون من احاطته بالعلوم . وله حواش على شرح العقائد للفتنازاني وحواش على المقدمات الاربع التي في التوضيح وتعليقات على المواقف وعلى حاشية العضد ورسالة في القبلية . تولى التدريس بمدرسة « مدرني » و « ديمتوقه » ثم في احدى المدارس الثمان باستانبول ثم رقي الى منصب قضاء العسكر الرفيع . توفي سنة ٩٠١ هـ ودفن في الموضع المسمى « ميت قويونسي » [ بر الميت ] بجوار ضريح خالد بن ابى ايوب الانصارى .

والحاج حسن زاده افندى (١)

### قضاة العسكر :

عندما نتكلم على المحاكم والقضاة يجب أن نضع قضاة العسكر في الصف الأول فانهم أهم الأركان في الأسرة القضائية وتشكيلات المحاكم .

وقد ذكرنا فيما تقدم إنشاء منصب قاضى القضاة فى عهد هارون الرشيد واسناده الى الامام ابى يوسف القاضى وبيننا وظيفته واختصاصاته وكيف أن السلطة القضائية فصلت ، بإنشاء هذا المنصب ، من السلطات السياسية والادارية وأصبحت مؤسسة مستقلة وانه كان فى الدولة الاموية قاض باسم « قاضى الجماعة » .

ونذكر هنا أنه لم يذشأ فى الدولة العثمانية منصب قاضى القضاة كما لم يكن فيها قاضى العسكر الى عهد السلطان مراد الاول فكان قاضى العاصمة يصحب

---

(١) هو من باليكر بالاناضول قرأ مبادئ العلوم على علماء عصره ثم وصل الى المولى يگان الايدنى فأنم لديه وتولى التدريس بمدرسة « ديمتوقه » و« ملقره » . ثم عين قاضيا على « گليولى » فأدى عمله بكفاءة ونزاهة وقد زكاه محمود باشا لى محمد الفاتح فعينه مدرسا للمراية فى بروسه ثم قاضيا لها وبعد ذلك انفصل من القضاء وأمر بالتدريس فى المدارس الثمان باستانبول وولى قضاءها فى سنة ٨٨٦ هـ اى قبل وفاة الفاتح ترقى الى منصب قاضى عسكر الأناضول . ومن جملة مؤلفاته ميزان التصريف فى علم الصرف ، حاشية التوضيح ، غرائب اللغات شرع فى تأليفه بأمر السلطان ومات قبل اتمامه . حاشية على المقدمات الاربع ، وحاشية على تفسير البيضاوى على سورة الانعام . وكان يقول الشعر واسمه الشعرى « وحيد » و « جامى » . توفي سنة ٩١١ هـ باستانبول ودفن بجوار ضريح ابى ايوب الانصارى . ولتلميذه الممتاز احمد بن سيدى مؤلف قيم اسمه اسرار الفاقة .

الجيش في غزواته قائماً مقام قاضى القضاة ومؤدياً وظيفته قاضى العسكر .  
وفي عهد اورخان ثانى السلاطين العثمانية كان المولى خليل الاسود  
الچندرى قاضى «إزنيق» مرجعاً للقضاة والخطباء الذين يعينون في المدن  
التابعة للدولة . وفي عهد السلطان مراد الاول سنة ٧٦٣ هـ كثرت صنوف  
الجند فكثرت شئونهم تبعاً لكثرتهم فعين خليل الاسود الجندرى المذكور  
آنفاً - وكان قاضى بروسه - قاضياً للعسكر .

ويؤخذ من بعض المصادر العربية أن مؤسسة قاضى العسكر قديمة في  
الاسلام وكانت موجودة في بعض الدول الاسلامية (١) .  
والى اواخر عهد السلطان محمد الفاتح كان في الدولة قاضى عسكر واحد  
ولكن في آخر عهده أنشئ لقضاء العسكر منصبان احدهما باسم قضاء عسكر  
الروملى والاخر باسم قضاء عسكر الاناضول (٢) فاسند قضاء عسكر الروملى

(١) ومن جملة من ولى قضاء العسكر محمد بن عبدالرحمن بن ابى بكر البغدادى  
المتوفى سنة ٣٦٢ هـ ولى قضاء العسكر وعاش ستين سنة وكان رأساً في علم الكلام  
خبيراً بالتفسير وله كتاب في الرد على اليهود وكتاب عمدة الادلة وكتاب التفسير .  
وقد استمر بعده هذا المنصب حتى ولىه الخليل نجم الدين بن على بن الحسين بن على  
الملقب بنجم الدين الحموى المتوفى سنة ٦٤١ هـ فولى قضاء العسكر للملك العادل ابى بكر  
ابن ايوب بعد الستائة

(٢) وكان ذلك عقب فشل مسيح باشا في فتح جزيرة رودس سنة ٨٨٥ هـ فعزله  
الفاتح من منصبه وعين مكانه المولى مغنيسا چلبى الذى كان يجمع في يده قضاء عسكر  
الروملى وقضاء عسكر الاناضول . وابتداء من ذاك الوقت فصل القضاء ان بعضهما  
من بعض وأصبح كل منهما منصباً مستقلاً واستمر الامر كذلك الى أن فتح السلطان  
سليم الاول مقاطعة ديار بكر ومدينة حلب وما جاورها من المدن سنة ٩٢٠ هـ  
فأنشئ منصب ثالث باسم منصب قاضى عسكر بلاد العرب والعجم على أن يكون مركزه  
ديار بكر [ = آمد ] واسند هذا المنصب أول ما اسند الى المولى ادريس حكيم الدين  
البتليسى الذى له سعى مشكور وفضل كبير في إلحاق البلاد المذكورة بالمملكة العثمانية .  
وقد ألغى هذا المنصب أخيراً واكتفى بقضاء عسكر الاناضول .

الى المولى مصلح الدين السكتلاني وقضاء عسكر الاناضول الى الحاج  
حسن زاده .

وكانا [ اى قاضى عسكر الروملى وقاضى عسكر الاناضول ] اكبر الاركان  
فى التشكيلات القضائية فى الدولة ويصحبان الجيش اذا تولى السلطان قيادته  
أحدهما اذا كانت الحملة فى أوروبا والآخر اذا كانت فى آسيا أو إفريقيا وأهم  
شئ فى وظيفة قاضى العسكر أنه كان مستشاراً قانونياً للسلطان مع الاشراف  
على توزيع الغنائم والفصل فى الخصومات الناشئة بين أفراد الجيش والدعاوى  
الجنائية والمدنية التى ترفع من الاهالى ضد أحد من ينتمون الى الجيش (١) .  
وأما توقيع العقوبات الخاصة بالمخالفات العسكرية فيذهب بنا الظن الى  
أنه لم يكن من اختصاص قاضى العسكر وإنما كان ذلك من اختصاص  
السلطات العسكرية .

كانت رؤية الدعاوى التى تحدث بين الجمهور والدعاوى الخاصة بالاموال  
غير المنقولة من اختصاص القاضى المدنى المحلى دون قاضى العسكر (٢) . هذا ؛  
وكان قضاء العسكر عندما يكونون فى العاصمة يقومون بعمل القاضى المدنى

---

(١) اذا كانت لزيد من الاهالى المدعين دعوى شرعية ضد بعض افراد الجيش  
وأراد أن يرفع دعواه الى القاضى المحلى الموجود بالبلدة التى هم مرابطون فيها فهل  
للجندى الذى هو المدعى عليه أن يرفض التقاضى أمام القاضى المذكور ويطلب  
التقاضى أمام قاضى العسكر الموجود بالبلدة المذكورة ؟ نعم له ذلك .

فتاوى عبد الرحيم

(٢) قضاء قاضى العسكر لا ينفذ فى العقار لانه فوض اليه القضاء فى أمور العسكر  
ولذلك يقضى فى المنقولات دون العقارات الا إذا نص على ذلك عند تقليده القضاء .

فتاوى الاقروى قلا عن جواهر الفتاوى

ويعينون القضاة الذين يرسلون الى البلاد الاخرى — ما عدا استانبول والمدن المصطلح على تسميتها « مولويّت » (١) وكان هؤلاء القضاة المعينون من قبلهم يسمون نواباً وكان تفتيش أعمالهم وعزلهم من اختصاص قضاة العسكر .

واما النواب المعينون من قبل غيرهم — وكان يحدث ذلك في حالات خاصة تستوجبها — فتفتيشهم وفصلهم من اختصاص القاضى الذى عينهم .  
والى عهد « التنظيمات » اى أوائل عهد السلطان عبد المجيد الاول كان القضاة تابعين لقضاة العسكر ، وقضاة العسكر كانوا تابعين للصدر الاعظم [ = الوزير الاكبر ] وبعد « التنظيمات » أصبحوا تابعين للمشايخ الاسلامية .

ارفتاء :

قلنا فيما تقدم إن الافتاء مؤسسة تساعد المحكمة على تحقيق العدل (٢) .

(١) « مولويت » كلمة مولدة معناها منصب ورتبة القاضى الكبير المسمى « ملا » مثل ملا مصر اى قاضى مصر وملا مكة اى قاضى مكة المكرمة وغيرها من الأقطار الكبيرة التى كانت تابعة للدولة العثمانية وتطلق كلمة « مولويت » على القطر نفسه كما تطلق على المنصب ؛ فيقال مثلا : « مكة مولويتدر » اى ان مكة قطر يتولى قضاءها قاض كبير من رتبة « ملا »

(٢) الافتاء فى الاصل حل مشكل وبيانه . وفى العرف الرد على سؤال عن حكم شرعى يقال أفى المفتى بكذا اى أجاب على السؤال عن حكم شرعى بكذا ويسمى السائل المستفتى والحبيب المفتى والجواب الفتوى تجمع على فتاوى .

القضاء والافتاء مؤسستان مختلفتان لكل واحدة منهما اختصاص ليس الاخرى فالقضاء يستند الى ولاية عامة والافتاء مبنى على كفاءة علمية . يدرس القاضى القضية =

ونقول هنا : بدأ الفتيا مع الاسلام فقد أذن الرسول الاكرم في حياته لبعض اصحابه الكرام بالفتيا ولكن العبء الاكبر والأهم من هذا العمل كان على عاتقه عليه الصلاة والسلام . ذكر البخارى فتاواه صلى الله عليه وسلم في أبواب متفرقة من كتاب العلم . وقد تقدم الفتيا تقدماً ملحوظاً في عهد كل من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

ولما كانت الفتيا مؤسسة علمية فلتحقيق الغاية المنشودة منها كان لا بد أن تسند الى شخص يستطيع القيام بهذه المهمة العلمية والالتسند الى أى شخص يتفق وجوده كيفما كان . فقد عنى بهذه النقطة عناية خاصة فى عهد الرسول وخلفائه الراشدين فلم يؤذن بالفتيا الا لمن كانت فيه الكفاءة .

وأول من أذن له الرسول عليه الصلاة والسلام بالفتيا هو سيدنا ابوبكر رضى الله عنه ولم يكن يفتى أحد بمحضه غير أبى بكر وفى خلافة سيدنا عمر

---

= التى تعرض عليه ويصدر حكمه فيها بحسب ما يظهر له من الأدلة وحجاج الطرفين ولذلك قال عليه السلام : « إنكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بشىء من حق أخيه فلا يأخذه إنما أقتطع له قطعة من النار » دل ذلك على أن القضاء يتبع الحجاج وقوة اللحن [ = البيان ] . وأما المفتى فيذكر حكم الشرع فى الحادثة حسبما يصفها المستفتى دون أن يدرسها ويحققها . ففتوى المفتى بيان علمى محض ليس له طابع الالتزام والمستفتى كامل الحرية فى القضية المتنازع فيها إن شاء أخذ بالفتوى وإن شاء لجأ الى القضاء .

وصفوة القول فى بيان الفرق بين القضاء والفتيا ان حكم القاضى ملازم لان عمله مبنى على ولاية عامة وفتوى المفتى غير ملازمة لان عمله مستند الى كفاءة علمية . وبعبارة اخرى : « حكم القاضى إنشاء وإلزام وفتوى المفتى بيان وتبليغ فالقاضى منشئ والمفتى مترجم »

رضى الله عنه قام بالفتيا أمثال علي وعثمان ومعاذ بن جبل وعبد الرحمن بن عوف وإبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبي هريرة وأبي الدرداء رضى الله عنهم من أذن لهم الخليفة بالفتيا . ومنع عمر من تصدون للفتيا بدون إذن منه .

وفي الدول الإسلامية التي قامت بعد الخلفاء الراشدين عين المفتون ليقوموا بحل المشاكل التي تحدث بين الجمهور وقد عملت الدولة العثمانية أيضاً منذ قيامها بهذه السنة الحسنة حيث عهد السلطان عثمان باني الدولة العثمانية أمر الفتيا الى حميه العالم الكبير والصوفي الجليل الشيخ « إنبالى » وبعد وفاته قام مقامه صهره الفقيه طورسون في الفتيا والتدريس . ولم يكن يقوم بهذا العمل العلمى الخطير في الدولة العثمانية اى عالم كائنا من كان فكان لا بد أن يؤذن له من الجهة المختصة : ومن أجل هذا كان المفتى سواء أكان في العاصمة او البلاد التابعة لها يعين من مركز الحكومة ويعنى كل العناية بأن يختار للفتيا الاعلم والافقه والاروع من بين العلماء . وانا لندرك مبلغ هذه العناية بمجرد الاطلاع على تراجم العلماء الذين تولوا الفتيا في مركز الحكومة او البلاد التابعة لها .

وكان مفتى العاصمة يسمى «مفتى الانام» واما البلاد والاقاليم فكان مفتوها يسمون « المفتى » فقط ثم لقب « مفتى الانام » بعنوان « شيخ الاسلام » واول من تولى منصب الافتاء بهذا العنوان الجليل هو المولى محمد شمس الدين الفنارى (١) في عهد السلطان مراد الثانى .

---

(١) ولد سنة ٧٥١ هـ في قرية « فنار » وقرأ على المولى علاء الدين الاسود والمولى جمال الدين الآقسرائى ولما سافر الى الحجاز لاداء فريضة الحج مر بمصر فآكرمه السلطان مؤيد واستفاد من علمائها فحضر دروس اكل الدين البارتى صاحب العناية شرح الهداية وكان من زملائه السيد الشريف الجرجانى ومحمود بدر الدين السماوى والحاج باشا الحكيم . ولما عاد الى بلاده ولى قضاء بروسه =

العلماء الذين تولوا منصب الإفتاء وصيحتهم الإسلام في عهد السلطان  
محمد الفاتح :

نفر الدين العجمي (١) والمولى خسرو (٢) والمولى الكوراني (٣) .  
ألفتيا مؤسسة اسلامية ونافعة جداً ليس لها مثيل في أي دولة أخرى

= ودرس بمدرسة مناستر سنة ٨٢٨ هـ وكان رحمه الله عالماً كبيراً وزاهداً ورعاً وقدر  
فيه هذه المزايا السلطان مراد الثاني فعطف عليه واختاره مستشاراً له . توفي  
سنة ٨٣٤ هـ ودفن في بروسه وله مؤلفات قيمة منها « فصول البدايع في اصول الشرايع »  
في اصول الفقه ، وتفسير سورة الفاتحة ، النموذج العلوم . شرح السراجية في الفرائض .

(١) نفر الدين العجمي من أشهر علماء عهد الفاتح اخذ العلم من السيد الشريف  
الجرجاني بایران ولما قدم البلاد العثمانية عين مساعداً ( معيداً ) بمدرسة بروسه  
واشتغل بالتدريس في بعض المدارس ثم تولى الافتاء في عهد السلطان مراد الثاني  
سنة ٨٣٤ هـ وكان رحمه الله زاهداً متقشفاً فقد اراد السلطان مراد ان يزيد مرتبه  
فرفضه قائلاً : « بيت المال حلال ولكن الزائد على الحاجة والكفاية ليس بحلال »  
وكان له باع طويل في علم الحديث وقد كسب احترام الفاتح لما اتصف به من الاستقامة  
والكمالات العلمية والخلقية والصلابة الدينية . وله فضل مشكور في القضاء على  
الترعة الحروفية التي ابتدعها المدعو فضل التبريزي وأخذ ينتشر في البلاد العثمانية وكاد  
يئمل اليها بعض الشخصيات البارزة في الدولة . توفي سنة ٨٦٥ هـ ودفن في مقبرة  
مسجد دار الحديث بأدرنه وقام بالفتيا زمناً طويلاً يزيد على ثلاثين سنة .

(٢) مبيقت ترجمته في ص ١٠٢ - ١٠٣

(٣) هو شمس الدين احمد بن اسماعيل الكوراني ولد في « كوران » أخذ العلم  
عن علماء مصر فأجاز له ابن حجر العسقلاني ولما مر المولى يگان بمصر في عودته =

ومجتمع آخر غير الدول الإسلامية والمجتمع الإسلامي والحاجة إليها ظاهرة ملحة فان الانسان الذي يعيش في حالة الاجتماع يحدث مع اخيه الانسان شتى المناسبات وليس لكل شخص أن يعلم - ولو كان المفروض فيه العلم - أحكام هذه المناسبات حتى الذين يزعمون لأنفسهم معرفتها ولم يعد تعليمهم مرحلة الابتدائي ، لا يستطيعون أن يحددوا حكم كل معاملة كما أن الاحاطة بأحكام العبادات ليست سهلا ولا يشذ عما ذكرناه المسلمون الذين عني دينهم بالعلم أكثر من أى دين آخر وخصه باسمى مكانة في المجتمع الإسلامي حتى قرر فيما قرر من مبادئه مبدأ « ليس الجهل عذراً في دار الاسلام » وحرص على تطبيقه كل

---

== من الحجاز لقي صاحب الترجمة فاعجب بعلمه فأخذه معه الى عاصمة الدولة العثمانية . ولما قابل السلطان مراد الثاني قال له : هل أتيت الينا بهدية من الحجاز ؟ قال نعم ، معي رجل فاضل عالم كامل فقيه مفسر محدث بارع في العلوم . قال : أين هو ، قال بالباب ، فأرسل اليه السلطان فدخل عليه وسلم وتحدث معه ساعة فرأى فضله واعطاه مدرسة جده السلطان مراد الاول في بروسه ثم جعله معلماً لولده الامير محمد [ السلطان محمد الفاتح ] ولما أصبح الامير سلطاناً اكرم استاذة غاية الاحرام حتى عرض عليه الوزارة فاعتذر عن عدم قبولها وانما قبل قضاء العسكر سنة ٨٥٥ هـ وقام بأعباء منصبه بنزاهة وكفاءة وصلابة لا تعرف اللين وقد فترت الصلة بينه وبين السلطان محمد الفاتح بعض مدة فرحل المترجم له الى مصر ورحب به سلطانها السلطان قايتباي وبالغ في اكرامه ثم لم يلبث أن رضى عنه الفاتح فدعاه الى استانبول مرة اخرى فأجاب الدعوة وقلده قضاء بروسه سنة ٨٦٢ هـ ثم الفتيما سنة ٨٨٥ هـ وتوفي الى رحمة الله سنة ٨٩٣ هـ فحضر السلطان جنازته تنفيذاً لوصيته . ومن مؤلفاته : « غاية الاماني في تفسير السبع المثاني » و « الكوثر الجارى على رياض البخارى » وكان رحمه الله يصدر فتاواه بقوله : الله الهادى عليه اعتمادى » ويضع جملة « العلم عنده » بدل « الله اعلم » قبل الجواب . كما يؤخذ ذلك من النماذج الموجودة في « عليه سالنا مه سى » [ = دليل المعاهد الدينية لسنة ١٣٣٤ هـ ]

الحرص كدستور لا يتغير ، فانهم ، مثل غيرهم ، حاجتهم ظاهرة وماسة الى معرفة الاحكام المشار اليها بمن يعرفونها وليس في الاستطاعة سد هذه الحاجة بوساطة القضاء . فان القضاة مع عدم اشتغالهم بالمسائل الخاصة بالعبادات فليس من صالح الحكومات ولا الافراد أن يقال لهم في قضايا المعاملات : « دونكم المحكمة » فإن هذه الطريقة تؤدي بالمجتمع الى حالة خطيرة ضارة جداً يعسر علاجها لا سيما في بيئة إدارية تنشر العدالة بالمال . وفي العهود التي كان للفتيا مكانها ومكانتها في الدولة والمجتمع كان المتنازعون في قضية يرجعون الى المفتي ومنه يعلمون حكمها وبموجبه يحلون مشكلهم فيما بينهم . وكان من النادر أن يرجع شخص الى المحكمة ويتحمل المصاريف التي هو احوج اليها اذا اقتنع بخطئه واكثر الذين كانوا يلجأون الى المحكمة هم الذين كانوا يظنون أنهم على حق . ولهذا الاسباب كان الرجوع الى المحاكم لا يقع إلا في القليل النادر . ولا شك أن ما كان عليه الافراد من حسن الخلق وأخذهم بمبدأ الاعتراف بالحق لهما أثر كبير في ذلك .

وصفة القول : أن المفتيين كانوا يعملون على احقاق الحق وتحقيق العدالة في الظروف والملايسات التي ذكرناها والحاجة ماسة الى إحياء هذه المؤسسة في وقتنا الحاضر . فلنفرض أن شخصاً وقع أمام حادث من حوادث المجتمع لا يعرف حكمه أو أن هناك قضية ميراث أو وقف لا يدرى حكمها ايضاً فالى من يرجع هذا الشخص لمعرفة الحكم ؟ ومن يعرفه ؟ نعم في الامكان أن يعرفه من استاذ في الفقه والقانون أو محام ولكن في مقابل جعل كبير وليس في استطاعة الجمهور الذي معظمه فقراء أن يدفع الجعل المطلوب مع العلم بأن المفتيين كانوا يجيبون هذه الاسئلة بدون مقابل وكان المهتم تنشئة مفتيين في مستوى من العلم والخلق يبعث الى النفوس الثقة والاطمئنان . وفي عهد الفاتح وماوليه من العهود تحقق هذا المهتم حيث نشأ مفتون يوثق بهم من جميع الوجوه .